المستهل

أحمد الله تعالى ، وأثني عليه ، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله ، إمام الدعاة، وسيد الخطباء ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء .

أما بعد ،،

فإنَّ الجناية في الأفكار والمعلومات ، لايقل مصيبة عن الجناية في الأرواح والأعضاء ، والجناية في الحوائج والممتلكات !!، ولذلك كان المتكلمون إلى الناس صناع أفكار ، وبناة عقائد ، وصيارفة مناهج . لايحق لهم ، ولا يجوز تجاهل ذلك أو تقديمه بكل سذاجة وعفوية .

وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بجمال الكلمة ، وحلاوة الخطاب ، وصدق المحتوى ، من خلال الخطب المنبرية ، والأحاديث الشرعية ، ولمّا كان لخطبة الجمعة سحرها البليغ ، ورونقها الآسر ، كانت من الأمة بالمكانة الرفيعة، والمقام السامي ، الذي يجعلهم يهتمون بها ، ويجلون خطباءها، ويصغون لكلماتهم تمام الإصغاء .

ولكن من المؤسف أن ثمة أعداد وجماعات من الخطباء لم يستثمروا ذلك التصور الجماهيري ، فتناولوا منبر الجمعة بكل سذاجة وبرود ، وكانوا فيه إهمالاً وتخلفاً عن دوره الريادي والحضاري !، وحولوا المنبر الوهاج إلى مرتع هوان وضياع ، حتى بات كثير من المسلمين يتأخرون عنها ، وآخرون يلتفتون إلى توجيهاتها التقليدية ، وبالتالي ضعف أداؤها الشرعي ، ووهجها التأثيري في حياة الناس...

وكان لذلك أسباب جوهرية منها :

أولا : سوء التحضير ، وعدم تعظيم شأن المنبر في النفس ، وتجاه الناس.

ثانيا : تجاهل حاجات الناس وتعلقهم الأسبوعي بوعظية المنبر.

ثالثا : ضعف التأهيل الشرعي، والفكري والبياني تجاه المنبر.

رابعا : تقصير العلماء في النهوض بالمنبر، وعظة الخطباء نهجاً وفكراً واهتماماً.
خامسا : تركيز وزارات المساجد والأوقاف على الجانب الإداري ، وإهمالهم توعية الخطباء شرعياً ، وإعدادهم علمياً، ومنبرياً، وبيانياً .

ولأهمية المنبر وضرورة النهوض به كتبت عدة رسائل فيه ، وأحب الآن الوقوف على (أغلاط منبرية) تورط فها بعض الخطباء، أرى في شدة بعضها، أنها جناية على المنبر الأسبوعي ، لاسيما إذا كان الضرر بارزاً ، والجناية غائرة ، وانضاف إليها سعة الجامع، وغزارة الجماهير ، وعلو منزلة الخطيب، المتردية بسطحيته !! ، وكل ذلك يسهم في بلوغ الجناية ، وأن الأمر قد تجاوز مداه ، (وبلغ الحزام الطبيبين) كما يقال!! .

فيجب حينئذ النصح ، وإسداء الموعظة التي يُتأمل فيها بعث الضمير المنبري، وإحياء اللب الخطابي، بحيث يستشعر الخطيب الأمين ، همَّ المسئولية ، وعبءَ الأمانة ، فيسارع إلى تطوير نفسه ، وتجديد دوره ، وإبراز الوجه الحضاري الجميل للإسلام ، وللمعرفة الإسلامية .

وأما تقديم الخطبة الأسبوعية على هيئة موعظة مهترئة ، مكسرة الأجنحة ، لاتقوى على القيام فضلاً، عن نفع الآخرين ، فهذا بلا ارتياب له ضرره البليغ، وتبعاته المشينة ، التي تجعل كل ناقد غيور ، ينعته بالجنابة التي لايسوغ السكوت عليها، مهما كان ذلك الجامع الفسيح، أو ذلكم الخطيب الوجيه .....!!

لأن (**الدين النصيحة**) والمنهج القرآني (**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) (**والمؤمن مرآه أخيه**) ، والإنكار متيقن ، والتنبيه واجب ، والإصلاح رسالة، والنهوض رؤية ، والتجديد مطلب ، ولا يزال أهل الإيمان يتناصحون حتى تصلح أحوالهم ، وتستيقظ ضمائرهم ، فيرتقون بالأداء المنبري ، والمحتوى الخطابي ، ويزاحموا وسائل الإعلام النفاثة ، التي باتت آسرة لكثيرين من شرائح الأمة ، رغم الانعدام الروحي ، الذي هو من خصائص العبادة الشرعية والتي تحوزه خطبة الجمعة بكل جدارة واقتدار ، ولكن للأسف ، نحن بتساهلنا وعدم استنهاض عزائمنا وأذهاننا، نسهم في هذه التعاسة للمنبر، ولا نعد له عدته ، أو نصنع له رموزه ، أو نهيء له تثقيفه وأدواته !!

ولهذا تتعاظم بعض الأغلاط المنبرية لتصل إلى حد الجنابة الفاتكة بالخطبة الأسبوعية ، ويكون لها سلبياتها السيئة ، وتداعياتها المشينة على الإسلام والفكر الدعوي .

إن الخطبة رسالة مصغرة عن روح الإسلام، ودعوته وسره ونوره .. لايحق لنا، ولا يجوز أن نضعف أثرها ، أو نقتل دورها، أو نمحو مصابيحها ، وقد استأمن الله خطباء الإسلام على أمانة الكلمة ، وجوهر النصيحة، وروح البلاغ.

وما تنبيهنا على هذه الأغلاط إلا نوع من الإصلاح والتجديد ، وبعث المنبر وضاء نقياً حيوياً، يؤدي رسالته على أكمل الوجوه ، ويسعى في تثبيت قدم الدعوة الإسلامية المنيرة ، ولذلك لايجد بعض الإخوة حرجاً أو ضيقاً من ذكر أخطاء الخطباء ، لأن المقصد تجاوزها، وتطوير الأداء ، وإصلاح النفس ، وتنقية المسار ، ولئلا يقع فيها بعض إخواننا المجيدين..
سائلاً المولى الكريم صحة الفهم وحسن القصد ، والله الموفق والمعين.

الجمعه 27/12/1431 هـ
3/12/2010 م

<u>(1) التحضير المتهافت</u> :

وهو **عبارة عن حالة إهمالية تعتري بعض الخطباء!! تجعلهم لايقومون للمنبر كما ينبغي ، بل يغشاهم فتور عام ، وكسل آسر ، يجعلهم يعتبرون الخطبة عنصراً ثانوياً أو طبيعياً في حياتهم !**

والذي يحملهم على ذلك :

1-ضعف الرقابة الإدارية والمجتمعية.
2-ضعف الإرادة الذاتية والتجديدية
3-استصغار الإصلاح المنبري للحياة الإسلامية .
4-اعتبار المنبر شكلاً من الوظيفة الرسمية التي ، لاتميل إلى الإبحار والإبداع والإفادة والتأثير !!

ولذلك يمكثون مددا طويلة في المنبر ، وهم يرددون خطباً قديمة ، وموضوعات تقليدية ، وعبارات قد ضاقت الأسماع منها، **ومن صور تحضيرهم المتهافت:**

1- الاعتماد على انتاج الآخرين ، ولو كان ضعيفا ، أو قديماً ، أو غير صالح!
2- استدامة التصوير المطلق ، ورفض استلام قلم المبادرة للتقييد ، وشق آفاق العقل الإنساني .
3- تكرار خطب الأرشيف عدة مرات ، ورفض الصياغة الجديدة ، والابتكار الحديث .
4- الارتجال المضطرب ، والمتنقل في كل فنّ وموضوع .
5- لملمة إنشائيات لا توصل الوعي الجوهري بالموضوع.

<u>ولعلاج مشكلة التحضير المتهافت لابد من سلوك الخطى التالية</u> :

(1) إدمان القراءة، والتثقيف بالموضوعات المطروحة .
(2) حيازة الهم الداخلي العميق بالمنبر، وتجديده وتطويره، وإيصال المنافع الحسان إلي جماهير المسلمين.

(3) إعطاء مساحه كافية للكتابة، والإعداد والتفكير ، بحيث لا يصل موعد الجمعة ، إلا والنفس مكتملة ، والذهن قد عُبأ بالمفيد ، والجديد .
(4) مجالسة الخطباء المبدعين، والمبتكرين وسؤالهم ، وأخذ تجاربهم ، ومحاولة تعليم النفس ومجاهدة قصورها وتقصيرها.

2- **<u>الذهنية الخرافية</u>** : -

وهي التي تعتمد على (الأخبار الواهية) والنصوص الضعيفة ، وتلهج بمناكير القصص والأخبار والأساطير ، كما يفعل القصاص سابقاً ، حيث يركزون على أعاجيب الأخبار ، والإسرائيليات ونصوص مثيرة وجذابة جداً ، دون أن يهتموا

بصحتها ، وثبوتها، فيقعوا في الحرج من وجوه الأول : حرج شرعي ، بحيث تجاوزها في النسبة الشرعية ، أن شرعوا بنصوص ضعيفة أو موضوعه خرافية!! الثاني : حرج إجتماعي ، يعمل على تنفير الناس منهم ، وعدم الثقة بأحاديثهم.
الثالث : حرج فكري ، حيث يقدم تلك المعلومات على تسطيح عقول الناس ، وربطهم بزائف الأخبار وركيكها .

وأما سبب الوقيعة في هذه الجناية المنبرية فكالتالي :

(1) عدم انتهاج التثبت في النقل، وفحص المقروءات والمكتوبات .
(2) عدم التفريق بين المصادر الصحيحة ، والمصادر الضعيفة للسنن والآثار والتواريخ والتراجم .
(3) محبة الإثارة والجاذبية للناس، من خلال تلك القصص والمرويات الواهيات .
(4) التأثر بخط وسائل الإعلام القائم على الاستقطاب والجاذبية الخرافية .

وأما سبل التخلص من الذهنية الخرافية، وهذا المزلق المنبري فيكون عبر الوسائل التالية : -

(1) أخذ العلم من مصادره الصحيحة ، شيوخاً أو كتباً أو مراكز ومواقع دقيقة .
(2) تعميق القراءة الجادة والمثمرة ، واعتماد منهج التثبت والاحتراز في النقل ، لكل الأدلة والمعلومات ، لاسيما بالجوانب الشرعية والنصوص المنسوبة للشارع الحكيم.
(3) **الاسترسال القاتل** :

وهو عبارة عن الإطالة الباهظة والإطناب الواسع ، والتفصيل الغائر الذي يصل به إلى قتل الموضوع ، وتنفير الناس ، وجلب السآمة والمنام على عقول الحاضرين.

وإنما نذم الاسترسال الجاري في سياق الموضوعات الحسنة المحبَّرة ، فكيف إذا اجتمع مع تحضير متهافت ، موضوع مشين !! ، بلا شك أن الكارثة ستكون كبيرة والنائبة عصيبة على الناس ، ولكن ليس أمامهم إلا الصبر والاحتساب ، حتى يأتي فرج الله ، ويتحرك الخطباء الغُيُر عبر (**منتدى الخطباء**) الإصلاحي التطويري ، الذي لازلنا نوصي به كل أهل منطقة ، ونرى أنه حل عملي ، لكثير من تلك الأغلاط المنبرية...

<u>وأما أسباب الوقوع في تلكم الإطالة والإسترسال فهي كالتالي</u> :

(1) الارتجال المبعثر ، الذي يوحي بعدم التحضير والضبط والدقة .
(2) تشهي الكلام والتفاصح المديد، الغافل عن سأم الناس ، وطول استماعهم
(3) استيفاء الموضوع من كل الجهات، دون اعتبار الوقت والعرف ومشاعر الناس .
(4) التعامل الشمولي مع الموضوع ، بغير تحديد عناصر جوهرية، كمن يتحدث مثلاث عن (**فضل الصبر**) ، هل يتناول حقيقته وفضائل الصابرين؟! ونماذج من سيرهم وفاعليته في حياة الأنبياء والدعاة ، وأنواعه التي كل فرع منها حديث خــاص!! أو آثاره وثمراته ، أو سبل تحقيقه وبلوغ غايته؟! في عناصر كثيرة متعددة!! والمقصد طول الموضوع الذي يتطلب تحديد العناصر أولا ، ثم الشروع في التناول والإلقاء ، لكيلا يطول الموضوع ، ويرهق الناس بغير وجه حق .

وقد تعلمت الأجيال المقولة الشهيرة (خيرُ الكلامِ ماقلَّ ودلَّ)

وقال البلاغيون (**البلاغة الإيجاز**) وصح قوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم : **(إن طول صلاة الرجل وقِصَرَ خطبته مَئِنةٌ من فقهه**) أي علامة وبرهان على فقهه .

وبعض الخطباء قد يضيف إلى استرساله واستطراده ، دخوله المتأخر، بحيث يدخل بعد زوال الشمس بفترة طويلة خلاف عادة الخطباء ، والعمل المتوارث عند الناس ، ويفيض في موضوعه إفاضة بالغة ، تجعل الناس نائمين ومتذمرين، وهي جناية على الناس ومصالحهم!! وتستحق إشارة خاصة لها .

(4) **<u>البعثرة الموضوعية</u>** :

ومعناها البدء بفكرة موضوعية معينة ثم يسترسل فيها إلى موضوع آخر يرى أهميته ، فيجره ذلك إلى نقطة جوهرية في خلده ، ويمر بقصة تاريخية فيعرج عليها!! ، فيكون تناول عدة موضوعات في خطبه واحدة ، ولا يستطيع الرجوع إلى الفكرة الأولى الرئيسة، ويختم الخطبة على ذلك ....!! فإذا ما سُئل أحدهم عن موضوع خطبة الشيخ اليوم

قال : لا أدري .. أو ملونة الشكل .. أو غير محددة أو كوكتيل بالمعنى العصري الدارج !!
وهذا بلا شك خطأ منبري لايجوز التساهل فيه ، إذ كيف يسمح لعقله أن يسرد على الناس مسارد أفكار متناثرة، يبدأها مثلاً بالحديث عن فضل صلاة الجماعة (حافظوا على الصلوات) فيسرد النصوص والقصص الدالة على ذلك ، ويسوق أخبار السلف في الاعتناء بالجماعة ، وحينما يذكر(الصلاة الوسطى) يدخل في ماهيتها ، فيجره ذلك إلى الولوج إلى عمق (غزوة الخندق) حينما أطلق صلى الله عليه وسلم الوسطى على العصر ، فيحكي الغزوة ويقف عند شىء من دروسها مستحسناً هو ذلك ... !!
ولكنَّ الناس والنقاد، لايستحسنونه، ويرون تثبيت الوحدة الموضوعية على أذهان الناس ، لتحصل الفائدة ولئلا تعم الدندنة والشتات وغالباً ما تؤدي إلى البعثرة الموضوعية ، وعدم الارتكاز نحو فكرة محددة، الارتجال المشوش ، والمعدوم التنظيم والتدقيق، والتعلق بالتعميمات والإنشائيات الفارغة!!
ولتجاوز مشكلة البعثرة الموضوعية يسلك الآتي :
أولا : العيش لفكرة موضوعية واحدة وافية النصوص ، والشواهد والتعليقات .
ثانيا : تجنب الاسترسال والاستطراد .
ثالثا : كتابة الموضوع في إطار موضوعي واحد ومراجعته كثيراً ، والله الموفق.

(5) **النبرة الغليظة** : -
قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران159)
فإذا كانت النبرة الغليظة تنتهي بأشرف الرسل وخيرهم إلى الإنقضاض ، وضياع المشروع الدعوي ، فكيف بغيره من جمهرة الناس المقصرين ، والذين يعتريهم مايعتريهم من وهاء العلم ، وقلة الفقه ، وفقدان الصبر والحكمة والأناة ؟!
فالمراد أن النبرة الغليظة عبــارة عن صوت إنكار غليظ يأخذ الناس بالشدة واللوم ، والمعاتبة الزائدة .
وهذا في نظرنا من أسبابه :

جناية بعض الخطباء

(1) تجاوز الخطيب لنصوص حسن الخلق، والرفق المستفيضة في الكتاب والسنن وعدم وعيه بها .
(2) تشبيه الخطبة بحال المعلم الجاد في الدروس العلمية.
(3) اعتقاد الخطيب الوصاية على الناس، وأنه لابد أن يظهر بمظهر الغيور المتهم .
(4) الجانب النفسي التركيبي للخطيب ، الذي لايمكن دفعه إلا بمزيد من الترويض والتهذيب الروحي ، والأخلاقي والدعوي ، وتفهم أن مئات الموضوعات الجميلة ستنهار بمثل تلك النبرة الغليظة التي تأخذ صوراً متعددة نحو :

أ – تضخيم أغلاظ الناس الصغرى .
ب- عدم التفريق بين طبقات الخلق، وخلط العلماء بالخلطاء .
ج- جعل المنكر المنزوي الشاذ، حديثَ عامة، والاتهام والالصاق عبر التناول المشين .
د- إطلاق عبارات نابية على بعض العصاة والمقصرين ، مما يعني تغييرهم وكرههم للرجوع والتوبة .

ولذلك نرى أن الخطيب على مسئولية تامة عن ألفاظه ، ومن ثم عليه التحلي بكثير من الهدوء والصبر ، والعقلانية، وليكن داعية وهادياً ، وليس حاكماً وقاضياً !!
قال صلى الله عليه وسلم " (إرحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء)
وقال (من لا يَرحم لا يُرحم)
وقال : (إن العبدَ ليدركُ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)
فيجب حينئذ تتناول الخطبة بشفافية أخلاقية راقية ، تحرص على محبة الناس وكسبهم والحرص على هدايتهم كمسالك رسول **الله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وكما قال الإعرابي :(اللهم ارحمني ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحداً أبداً) لما** رأى من طيب خلقه وترفقه به ، وبإساءته في المسجد !!

(6) **الإنشائية الفارغة** :
ومقصودها **(جمع العبارات الفخمة الفضفاضة ، المجردة من المعاني المفيدة أو التي تنتهي إلى نزر يسير بالنسبة لضخامتها وجاذبيتها ، وخالية من النصوص والآثار)** وهذه الإنشائية يلتجىء إليها الشخص شديد العارضة ، الذي له لسان سيال ، ومنطق زخار ، ولكنه يهمل الاعتناء بالنصوص، ولا يفكر في تعميق الفوائد ، وسوق الحقائق.. ! بل يسبح في بحار الملفوظات والمطولات ، إلى أن يثقل على الناس ، ويخرجهم بالنتائج المزجاة والله المستعان .

وسبب الإنشائية الفارغة مما يلي : -

(1) عدم التحضير والاستعداد العلمي النصي للموضوع ، فمن يتحدث مثلاً عن التعاون بين المسلمين، يسيح في عبارات 00 إنه عنوان الوحدة ، وكتلة التحكم ، وبرهان القوم ، وعلامة المحبة، والإخوة يتآزرون ولا يتخاذلون ، يهب المرء لأخيه ويسعى في حاجته .....!!
وهكذا يعبىء المستمعين بمثل هذه العبارات ، دون أن يسرد أيةً قراءة أو نصاً نبوياً ، او فقهياً..... تاريخية تؤكد هذه العبارات البراقة وتثبتها عند الناس!!
ولذلك نحذر من الإيغال في الإنشاء على حساب النصوص والشواهد والفوائد، وندعو إلى الإقتصاد ، وأن يكون جارياً حول النصوص والشواهد كمقدمات واستهلالات وتعليقات، وليس جل الخطبة إنشاء بلا جملة مفيدة ، أو آية حكيمة .. أوحديث مجيد !! لأن ذلك سيذهب روحانية الخطبة ، وعظم أثرها على الخلائق ، والله المستعان .
(7) **الانفصال القلبي** : -
ومعناه (خروج كلمات الخطيب من لسانه وليس من جنانه ، وصراخه بلا نص وإحساس وشعور)
وقد كتبت فيه رسالة سابقة ذات أهمية خاصة ، **أسميتها (مخاطر إنفصال الخطيب عن موضوعه)** عد لها إن شئت.
وأعد هذه الجناية من كبريات الأغلاط المحجمة لدور المنبر ، والتي تجعله في أذيال الوسائل الإعلامية الحديثة ، لأن اتصال الخطيب بموضوعه، نصف نجاحه وتأثيره ، ويعني الايمان بالفكرة والصدق في النصح والبلاغ ، ولذلك عدم الإيمان بفاعلية المنبر ، سبب في الوقيعة في الانفصال القلبي ، مع أسباب أخرى ذكرت

في الرسالة الآنفة الذكر ، والمهم هنا أن يحرص الخطيب على تجاوز هذه المشكلة الخطابية ، التي ابتلى بها عدد غير قليل من الخطباء ، والوسائل المعينة على تجاوزها :

(1) استحضار عظمة الخطبة ، وضرورة الاستعداد البليغ لها .
(2) المقدمة الروحانية للمنبر ، وسؤال الله الفتح والإخلاص ، وحسن التوفيق.
(3) التحضير الجيد ، وعيش الموضوع بالكتابة والجمع ، والتأمل والتدريب .
(4) استشعار نفع الناس ، وتقريب منائر الإيمان والخير لهم بكل صدق واقتدار.

وأما الآثار المتوقعة من انفصال الخطيب عن موضوعه فتظهر في الآتي :

أولا : تضايق الناس ونفورهم من ذاك المسجد ، أو تأخرهم في الحضور.

ثانيا : عدم انتفاع الخطيب من كلامه وإحساسه بالتضجر الداخلي، وأنه يؤدي إصراً ثقيلاً لايرتاح إليه .

ثالثا : هبوط الأداء المنبري ، والأثر الخطابي في حياة الناس ، وأن الجمعة ليست سوى عبادة خاصة ، معزولة عن الواقع الاجتماعي الإسلامي .

رابعا : حصول الفجوة الشديدة بين الخطيب ومريديه، وشعورهم بعدم الانتماء لمنبر الجمعة .

(8) **التسطيح الفكري** : -

ومعناه **(صوغ عقول الناس صياغة ساذجة سطحية ، تحوم حول الأمور، وتتعرف إلماماً دون العوص في الدقائق والحقائق ، ومقاصد الأحداث والموضوعات)**

بل قد يجر ذلك التسطيح ، إلى سوء فهم للقضايا الشرعية ، ويكوّن رؤى مغلوطة عن الدعوة والفكر والإصلاح، كالمتحدث عن التوحيد وصحته وصدقه من خلال نبذ القبور والبدع حولها، ويهمل قضايا التوكل والرهبة والايمان بالقدرة والعلم الآلهي المحيط قال تعالى **(ولا يؤوده حفظهما) (البقرة 255)**

قال تعالى : **(فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) (يس83)**
وكذلك الناطق بفضل الصلاة وحسن أدائها في الجماعة، مع عدم التركيز على مغازي الصلاة وأسرارها وعوائدها على النفس الإنسانية !!
والداعية الخطيب المختزل لصنوف الصدقات والتبرعات في بناء المساجد والمدارس ورعاية المساكين والأيتام ، رغم وجود قنوات دعوية عصرية تحتاج الى بذل وإكرام ، لا يتم الإشارة إليها تماماً نحو إنشاء قنوات إسلامية وإذاعات ، ودعم مواقع الكترونية وتجهيز دعاة ومفكرين والتفقه عليهم ، وطباعة الكتب والنشرات المفيدة واشباهها !!
وكذلك اختزال المنبر في موضوعات تقليدية أبد الآباد ، دون التعرف على موضوعات أخرى جديدة ، وأحداث عصرية وظواهر اجتماعية ، وصفات إسلامية ، مما يسطح الفكرة ويورثه الكسل والغباء العقلي، الذي لن يفكر معه في النهوض والإصلاح والتغيير، مثل الذي يحض على قراءة القرآن ، ويسوق آيات فضل الكتاب وعوائد قراءاته وحفظه بغير أن يشير إلى قضية التدبر ، التي هي جوهر الكتاب وأصل نزوله ، المورثة للعمل والإيمان ، كما قال الله تعالى :
(كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الألباب) (**ص29**)
ومن التسطيح للمنبر جعله ينطلق في سياق واحد ، نحو الإيمانيات أو الآداب ، أو الظواهر أو السير والتراجم !!، بحيث يعرف أنه خطيب الإيمانيات ، أو متحدث الآداب ، أو حاكي التراجم !! ونرى أن الأحسن التنويع والتلون ، بحيث يغطي جل عناصر المعرفة الإسلامية ، ولعله تأتي الإشارة إلى ذلك المزلق المتفرد .
(9) **<u>الشَّرَه الإخباري</u>** :
ومعناه (تحويل منبر الجمعة إلى منبر سياسي ، مضطلع بأحداث الأمة ومشكلاتها ومحازنها)
بحيث يبيت المستمع ، يسمع تحليلات وأرقاماً وتصريحات ، وتحديات حرب وسلام ومصطلحات سياسية مفرطة ، تخرج المنبر عن أداء دوره الروحي والإصلاحي والتربوي!!

فإننا مع الشمولية الموضوعية في التناول حسب منهج الوحيين، ولكن أن يُصبح المنبر محلاً لسرد الأحداث السياسية وتطوراتها ، فأعتقد أن هذا خلاف السنة والمسلك الشرعي السليم !! .

والمسلك الشرعي هنا أن يرسخ المنبر قضايا الإيمان والآداب في أذهان الناس، وأن لا يهمل مشكلاتهم المحلية ، والأممية باعتدال ، نحو قضية فلسطين والعراق وافغانستان، وكل ما يلم بالمسلمين من أحداث لاسيما ، والأمة تعيش حرباً صليبية على ديارها من كافة الاتجاهــات، **وقد نص ابن القيم رحمه الله في الهدي النبوي** (**انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب في قواعد الاسلام وشرائعه ، ويأمرهم وينهاهم في خطبته ، وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته ، فإذا رأى ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها) وقال أيضا رحمه الله في موضع آخر (إنه كان يخطب في كل وقت ، بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم)**

ولذلك هذا هو الأصل الخطابي ، وقوامه وعماده ، ولا يمنع وقتئذ الإنـباه على كارثة أو حدث أو مجاعة أو مصيبة احتلال .... ولكن لايكثر من الحديث المأساوي بحيث يصبح طابعاً راسخاً على وظيفة المنبر ، ويفقده عناصره الأخرى والله الموفق.

10- **<u>الروح الاستعلائية</u>** :

ونقصد بها **(إظهار الأنا في الأداء الخطابي، وتبرئة النفس من الأخطاء والعثرات وكيل الجروح والنقدات على جمهور المستمعين)!!**

<u>وهذا بلا شك أنه جناية وكبر واستعلاء ، من شأنه أن يورث مايلي</u> :

(1) غرور الخطيب وتعاظمه على الآخرين، وحرمانه من صفة التواضع التــي هي حلية الأنبياء والدعاة عبر الأزمان (**واخفض جناحك للمؤمنين**) (**الحجر 88**)

(2) تعكير النية وتغشية القلب بغشاء الترفع والاستعلاء على الناس، مما يعني فقدان الأجر، وحرمان السعادة الروحية .

(3) نفور الناس عن أدائه ، وتمكنه، لو كان متمكنا ً، بسبب انفصاله عنهم بأناه وفوقيته ، وفقدان بركة العلم وإسداء

النصح الشرعي ، والتي هي زكاة العلم والروح والثبات على الطريق .

وإذا حرم العبد التواضع والسكنية، ذهبت بركة علمه ، وقست نفسه ، وتخلى عنه أقرب الناس إليه .

<u>ومن صور الروح الاستعلائية</u> :

(1) استعمــال عبارات الأنا (قلت ، وعندي ، وذهبت ، وسافرنا ، وحكي لي) إلى درجة الإعجاب الطويل والتعلق بها !!.

(2) نسبة الخطأ إلى الناس ، وتنزيه نفسه كثيراً ولا يتعلم من قوله تعالى :

(يا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)غافر

وقوله تعالى :

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) (24) سبأ.

11- <u>العزلة الأممية</u> :

قال تعالى : **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**) (التوبة)71

بمعني **(إغفال أوضاع العالم الإسلامي من خطبه ، والعزف على قضايا الإيمان والأخلاق والسير والتراجم بمرة)**!!

ونسي أن من الإيمان نصرة المتستضعفين، وإغاثة الملهوفين ، وتعليم الجاهلين ، ومد العون للمحتاجين ، وحماية المظلومين !! ونسي أيضا أن في السير والتراجم تراحم أهل الإيمان ، وتناصر أهل الإسلام ، وسعي المسلم في حوائج أخيه، وكسر كل حدود القبلية والعنصرية ، والقطرية التي صنعها المستعمر الغاصب.

كما قال الله (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (10)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين اصابعه.

وإذا كنا انتقدنا الشره الإخباري السياسي فيما تقدم ، فانن نذم الانعزال الأممى عن الأحداث المهمة ،

وندعوا إلى سلوك الاعتدال ، بلا ضرر ولا ضرار ، وخير الأمور أوساطها ، وكما قيل :

ولا تغلُ في شيءٍ من *الأمر* واقتصدْ
كلا طرفي قصدِ الأمور ذميمُ

ولذا فنحن نحتاج الخطيب المحلي الواقعي، الذي يخترق الآفاق أحيانا ، ليوتد للحمة الإسلامية ، ويعزز الرابطة الإيمانية ، ويحفز الأيادي الباذلة ، ويسيل المدامع الحية لأننا في النهاية إخوة مسلمون .

وحيثما ذُكر اسم الله في بلدِ عددت أرجاءه من لب أوطاني

وانتهاج الخطيب للانعزال الأممي والاكتفاء بالتقليدي والمحليات سيحدث :

(1) تكريس الخطاب المحلي القطري وتبديد أممية الإسلام ، الذي سيورث العنصرية ، وعدم الاهتمام بالآخرين ، وهذا يتنافى مع مبادىء الاسلام وشرائعه.
(2) ضعف تأثير الخطيب وظهوره الاعلامي في زمن (**القرية الكونية)** والفضاء الفسيح المتصل !! بسبب تعويله المحلي ، وضيق أفقه الدعوي
(3) تعطيل صفات التعاون والتآزر والتراحم الإسلامية ، التي تحتل مساحة واسعة من الفقه الإسلامي بسبب ذلك الطرح !!

12- **<u>إغفال الحاضرين</u>** :

ومعناه **(عدم الاهتمام بالحاضرين، ونصائحهم ، ومطالبهم ، وتجاهل أنهم الطرف المتلقي والحقيقي لفاعلية الخطبة)!**

وهذا شىء يثير العجب ، فالناس إذا سلموا من الخطيب الهجاء المنتقد، لم يسلموا من المغفل المتجاهل!! الذي زاد على حرمانهم من نظَراته، حرمانهم من تلبية رغباتهم ، واشراكهم بالرأي والنصيحة .

وهذا الإغفال له صور :

(1) إطراق النظر المطلق، في الورقات المقرؤءة ، وعدم رفع الرأس وملامسة آمالهم وتطلعاتهم .

(2) عدم الالتفات إلى قضاياهم ، وموضوعاتهم، ومشكلاتهم الملحة .
(3) سد قنوات الحوار والإصغاء لهم .
(4) عدم الحرص على إفهامهم، وتعليمهم، وحفزهم، وتشجيعهم .
(5) إلهامهم بأن الخطبة له أو للأوقاف، وليس لهم فيها أدنى رأي أو توجيه!! .
(6) العزوف عن التعرف على انطباعاتهم ومواقفهم من الأداء ، أو قضايا جديدة ، تناولها المنبر !

وهذا الإغفال بكل صوره المختلفة ، سيثمر ثماراً مرةً على الخطيب والدعوة منها :

(1) انعدام الشعبية للخطيب ، وعيشه معزولا عن الناس والموآزرة .
(2) زهادة الجماهير في الخطبة، وإحساسهم بانفصالهم عنها ، وأنها لاتفيدهم ولا تتطلبهم ولا تصغي لهم .
(3) انعدام ثقتهم في الخطباء والدعاة، ورفض التعاون معهم في أي مشاريع خيرية أو دعوية .
(4) تغيير المسجد، أو الحضور المتأخر، بحيث لايطمح في التبكير، وتحصيل الثواب الكبير كقوله صلى الله عليه **وسلم (من غسّل واغتسل وبكّر في التبكير ، ومشى ولم يكب ودنا من الإمام ، كان له بكل خطوة أجر قيام سنة وصيامها) كما عند أحمد وأبي داود في السنن ، وهو خبر صحيح .**
(5) إهمال سنة التبكير والاستعداد للجمعة ، بسبب فعائل ذاك الخطيب، كما تقدم ، ولاشك أن الانتفاع بالخطبة مرهون بالسنن من الغُسل التام وحسن التطيب والهيئة ثم التبكير ، والصلاة والتلاوة، وأما القادم متأخراً فلا يحرص إلا على الانصراف على أي وجه كان !!

13- **الطرح المتكرر**: -

ونقصد به **(إعادة بعض الخطب السابقة، بشكلها وحسّها ونبضها ، وبدون تغيير وتجديد) !!** .

ولا ارتياب أن ذلك يوحي بعدم توقير عقول الناس ، واتهام ذواكرهم بالنسيان ، مع أن بعض عوامهم سيدرك أن الموضوع مكرر لألفاظ عرفها، أو قصة مهرها ، أو أبيات اعتاد عليها ولذلك ينبغي التنبيه لمثل ذلك .

قد تفرض بعد الظروف على الخطيب أن يقلّب أرشيفه وكُنّاشته المجموعة،أي دفتره فيستفيد منه ، ويأخذ ولكن ليس كما هي الملقاة من خمس سنين أو أكثر ولا يحررها ، أو يعيد تنقيحها !! وهذا يُضطر إليه ، أيام المواسم كرمضان والحج ، وعند تكرر حوادث معينة ، أو يظن الخطيب ان الناس غُفْلٌ عنه ، فيعيد الموضوع كما هو وبنبرته وحسه السابق ، فيفطن بعضهم لذلك ، ويقوّمونه من خلال ذلك ، لأنه قد ينقدح في الذهن أنه لا يهتم ، أو لايحضر إلا قليلا! أو ليست لديه المقدرة للبحث والصياغة وانعدام التفكير !!

وللاستفادة من الأرشيف القديم ، فلابد أن يضفي عليه لمسات تغييرية من نحو تغيير المقدمة والاستهلال ، والحذف والاختصار ، وإضافة المسائل الجديدة ، التي توحي بالحداثة والقرب، وهذا ليس عسيراً على الخطيب النابه ، المحترم لعقول الناس ، ويسعى للإفادة والإجادة ! .

وثمة طريقة سهلة للتغيير والتعديل، لاسيما للخطب الضاربة ، في القدم ، ولاتزال محفوظة لدى أصحابها ، وهي أن يعمد بعضهم إلى كتابتها ونقلها من جديد بحيث يشرع في نسخها في ورق حديث، ثم ينظر كيف ستنهال عليه التعديلات والتحسينات ، ويدرك مدى سهولة الحذف والتقديم والتأخير ، والإضافة من عدمها لاسيما لما يلحظه الناس كالنصوص والشواهد والأشعار والفوائد المحددة .

لكن ذلك إنما تستسهله النفوس المجددة ، والطامحة للنفع ، والتغيير، وتضيق من البرود والجمود، والتقليدية الثابتة والله الموفق والمعين .

14- <u>**المنبر المتوحد**</u> :

(ونعني به المنطلق في اتجاه واحد، كالإيمانيات ، لايكاد يتجاوزه ، ويغرد ويبدع من خلالها مع إهمال الجوانب المعرفية الأخرى)!!

فهو منبر أُحادي في جانب واحد ، هان له وارتاح إليه ، كجوانب الرقائق ، أو الآداب ، ، أو القصص ، أو الظواهر والعادات ... !! مع أن المسلك الأرشد في ذلك ، والأحكم هو **(التنويع)** ، فتارة عظة إيمانية وتارة صفة حسنة ، أو أدب جميل ، وتاره ظاهرة اجتماعية أو وقفات قرآن ، أو وهج حديث نبوي ... الخ والمعرفة هنا واسعة ، وديمة القراءة ودقة النظر ، ستفجر موضوعات لاحد لها ، ستكون زاداً للخطيب ، وتثريه عقلاً وأداءً واستنباطاً .

وأما التركيز على جانب واحد ، السنوات الطوال ، فهذا له آثاره غير الحسنة على الناس والمنبر منها :

1. **تصور أن المنبر مخصوص بهذا الاتجاه ، وبعث رسالة إلى الناس ، أنه لايسوغ تجاوز ذلك !!**
2. **تربية أذهان الناس على نمط معرفي واحد ، لا يفتح آفاقا إلى المجالات الأخرى ، مما قد يورث الجمود والتبلد .**
3. **حصول الإملال عند المستمعين، بحيث قد يفكرون في النفور والتغيير أو التأخر كثيرا ، بحيث لايسمعون إلا آخر الخطبة !!**
4. **التضييق على نطاقات الإبداع لدى الخطيب ، بحيث يبيت محصوراً في مجال واحد، لايمكنه من التجديد والابتكار** .

ونعتقد أن المنبر المتوحد ، ذو الحديث المعروف المسلك ، غير مناسب للحياة الجديدة ، وتطوراتها الحالية ، ونوازلها المتعددة ، والتي توجب اليقظة الدائمة والملامسة الجادة ، والتحرك والتنوع ، وهذا هو (**خطيب العصر)** ، الذي يلامس حاجات الناس ومصالحهم ، ويعكس تطلعاتهم وطموحاتهم ، ويمارس التلون المعرفي الشرعي ، الذي جسده الطرح القرآني والنبوي.

15- <u>**الخطاب الاعلامي**</u> : -

والمراد **به (محاكاة وسائل الإعلام في سرد الأمور والمنجزات ، وصبّ المدائح والموضوعات التقليدية ، حتى لكأنك تسمع نشرةً إخبارية) !!**

وهذا أظن انه لاينسجم مع الرؤية الإسلامية للمنبر ، ولا الاتجاه الواقعي الراشد !!

لأنني أعتقد ضرورة إبقاء الخطبة ، خطبة ايمانية ترقيقية نافعة ، ذات بعد تربوي وإصلاحي للناس ، وأما سوقها كالنشرة الإخبارية الرسمية ، فهذا خطأ !! ، وفيه تجاوزات ، وكما نبهنا على جناية الشره الإخباري، والخطاب المأساوي الأممي، كذلك ننبه على خطرصحفية المنبر، وجعله يؤدي وظيفة الصحيفة السيارة ، ذات التوجه المعروف ، **ونرى أن له تبعات ضاره منها :**

1. **إخراجه عن دوره الإيماني والإصلاحي .**

(2) إفقاده لثقة الجماهير ، وتطلعاتهم وأمانيهم.
(3) الزج به في مراتع هو في غنى عنها !.
(4) ممارسة الوصاية المقيدة له ، والتي قد تصطتدم بالاتجاه الشرعي.

والمطلوب ترك المنبر على سجيته الشرعية ، ونهجه النبوي ، مع الحرص على الضوائط العامة للبلاد الإسلامية العربية ، والاعتدال في الإشادة والمدح والنقد والتعقيب ، والدعاء بالصلاح للجميع ، كما نكره تسييس المنبر بامتياز، كذلك تجافي الولاة والعلماء، وحرمانهم من الدعاء يوم الجمعةّ!! فلا بأس أن يدعو للولاة على رؤوس المنابر ، بلا تكلف ومنافقة، والناس هنا طرفان ووسط ، طرف سيّس المنبر إلى درجة التشويه ..! وهذا غالٍ، وطرف ثانٍ ، جعله جهة معارضة، تضخم الأخطاء وتنفخ العثرات، وتمنع الدعاء ، وهذا جافٍ، ووسط شرعي فهمان، حافظ على الخطبة ، ولم يُعادِ ، أو يجاف، وصان المصالح، وحفظ حق الطاعة ، والدعاء للجميع بالصلاح والهداية، واكتسب محبة الناس، وهذا هو المطلوب والمأمول .

(16) **المنطق المثقوب** :

والمراد **به (الثقوب المتوالية التي يحدثها الخطيب اللحّان ، الذي لايقيم للنحو اعتباراً ، ولا اللغة مقداراً**)!! بحيث أنه يلقي الكلام على عواهنه ، يكسر الفاعل ، وينصب المجرور ، ويرفع المنصوب ، قد جعل بينه وبين السامعين خندقا من لحون فاحشة، تمجها وتشمئز منها الأرواح، وتشمئز الاسماع! فكيف يطيب موضوعه ولو اكتمل ، أو تَحُسن خطبته ولو التهبت ، ويَزين حديثه ، ولو نضج ؟!!!

لقد أفسد كل ذلك (**باللحن المتوالي)** والأخطاء الفاحشة ، والعثرات اللفظية الماحقة ، وسيؤدي حتماً ذلك إلى نفور الناس وزهدهم في مواضيعه ، وانتقادهم لكلامه وعلمه وتسفيههم لأدائه ، لأن النحو أساسي للمتحدث، وسلامة النطق مفتاح التأثير، وبابة الفصاحة، وكم من موضوع ضعيف ، رقّاه حُسن منطق الخطيب ، وسلامة لغته،

وإن قصّر في موضوعه ؟! فلا يجوز التقصير في النحو الذي هو ضمان لغة الإسلام ، ولسان القرآن ، التي حفظها، حفظ للقرآن ، وإعلاء لشأنه وفضله ، وقد أنشد بعض أئمة اللغة :

النحوُ يَبسُطُ من لسانِ الألكَنِ
والمرءُ تكرِمُه إذا لم يلحنِ
واذا أردتَ مَنِ العلوم أجلَّها
فأجلُّها علمُ مقيمِ الألسُنِ

وفي ترجمة الإمام ابن المبارك رحمه الله قوله (اللحنُ في الكلام ، أشد من الجدري في الوجه)
وكان عمر ابن عمر يضربون أبناءهم على اللحن ، ويرونه ضروراً لفهم القرآن، والله المستعان ، وعليه التكلان .

وصلى الله وسلم على نبي الأمة ، وصاحب المحجة، خير من نطق بالضاد ، وعلمنا الحكمة والرشاد وعلى آل وصحبه اجمعين .